

وما سواها (262)

قراءة نفسية لوصية إبن مسكويه!!



د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ، وهو يومئذ آمن في سربه معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراعاة مخلوق ، ولا إستجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم ، عاهده على أن يجاهد نفسه ويتقّد أمره ، فيعف ويشجع ويحكم ، وعلامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه ، حتى لا يحمل الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره في شهوة قبيحة ولا غضب من غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر في إعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ، ليصلح أولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة ، وعلى أن يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها ، وهي خمسة عشر باباً:

"يسمي نفسه في هذه الوصية "أحمد بن محمد" ، وقد تعددت أسماءه ، ومضى الباحثون والمؤرخون على تلخيصها بإبن مسكويه.

وقد أراد تنزيه نفسه من أي رغبة وغاية ذاتية في مقدمته ، التي يريد بها أن يؤهلنا للنظر بصدق ونقاء لما سيوصينا به.

وهي تقع ضمن دعوته الأخلاقية ومجالدته وكدحه لتهذيب النفس بعد أن بلغ من العمر عتياً ، إذ يُقال أنه قد ناهز المئة عام.

فهو يقدم نفسه عفيفاً شجاعاً حكيماً ، وكلها مهارات قد تمكن منها لمحاربة العدو اللدود الذي يقصده وهو النفس ، وأظنه يريد بها النفس الأمانة بالسوء ، وهي من أفحش النفوس وأفلتها ، وقد توجهت نحوها رسالات السماء ونداءات المصلحين عبر العصور ، وما أفلحت في تهذيبها وتنقيتها من نوازعها الغابية الوحشية العمياء .

وفي الوصية يقدم لنا بياناً صارماً يمكننا من الانتصار على النفس والقبض على عنقها ، وإدارتها وتطويعها للعمل وفقاً لما تقتضيه الحكمة والعفة والبصيرة الثاقبة السامية الأفاق .

إيثار الحق على الباطل في الإعتقادات ، والصدق على الكذب في الأقوال ، والخير على الشر في الأفعال

"يؤكد في الوصية على ثلاثية الحق والصدق والخير ، ووجوب رجائها على غيرها ومضاداتها ، وعدم الإستهانة بها لأن فيها ما يساهم بتأهيل الإنسان لمجابهة نفسه ، والتخلص من شوائبها ونوازعها

هذا ما عاهد عليه أحمد بن محمد ، وهو يومئذ آمن في سربه معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه إلى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ، ولا يريد بها مراعاة مخلوق ، ولا إستجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم

عاهده على أن يجاهد نفسه ويتقّد أمره ، فيعف ويشجع ويحكم

علامة عفته أن يقتصد في مآرب بدنه ، حتى لا يحمل الشره على ما يضر جسمه أو يهتك مروءته

علامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره في شهوة قبيحة ولا غضب من غير موضعه

علامة حكمته أن يستبصر في إعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة

يقدم نفسه عفيفاً شجاعاً حكيماً ، وكلها مهارات قد تمكن منها لمحاربة العدو اللدود الذي يقصده وهو النفس ، وأظنه يريد بها النفس الأمانة بالسوء

الفتاكة التي تقضي إلى تداعيات سيئة.

كما أنه يقرن الاعتقاد بالقول والفعل ، ولكي يكون الإنسان نقيًا ومعبرًا عن إعتقاده ، لابد له من الالتزام الصارم بهذه الثلاثية التربوية الأخلاقية السلوكية النبيلة الساطعة".

وكثرة الجهاد الدائم لأجل الحرب الدائمة بين المرء وبين نفسه

"ويحثنا على اليقظة والحذر من نوازع النفس ، وما فيها من مطمورات الشرور ، التي تستوجب المجاهدة النابهة وعدم الغفلة والإهمال ، فكأن الإنسان يعيش حربًا دائمة هوجاء لا تعرف الفتور ، وعليه أن يتأهب لها ويشدز همته ويموّل قدرته بما يؤهله للفوز بها".

والتمسك بالشرعية ولزوم وظائفها

"ويرى أن التمسك بالشرعية من متطلبات المجاهدة النفسية المقتدرة ، وهذا نابع من فهم القرآن وتوجهات العديد من الآيات التي تستهدف النفس الأمارة بالسوء ، وقد وُضِعَتْ لتهديبها الشرائع والمبادئ اللازمة للتحكم بنوازعها ودوافعها".

وحفظ المواعيد حتى ينجزها وأول ذلك ما بيني وبين الله جل وعزّ

"ويدعونا إلى التهذيب الروحي لأنه من أعمدة القوة والقدرة على المسك بلجام النفس وتطويعها ، ويرى أن الصلاة تمنحنا الوسائل الروحية القادرة على نصرنا وتحقيق إرادتنا النقية الصافية ، فالحفاظ على المواعيد تمرين جدير بالممارسة لكي نتقوى وتتماسك أوأصر كينونتنا الروحية الأبية".

وقلة الثقة بالناس بترك الإسترسال

"وهنا يثير مسألة الثقة بالناس ، ويبدو من خبرته الطويلة بالحياة قد توصل إلى أن هذه الغاية بعيدة المنال ، ويترتب عليها تداعيات وتفاعلات سلبية مؤسفة ، ولهذا يتخذ سلوك التحاشي وعدم إندلاق ما فيه أمام غيره ، لأنه سيتخذ سلاحا ضده أو يرهنه بما قال".

ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك

"المحبة الحقيقية النقية تكون لذات المحبوب وحسب وليس لغاية أخرى غير مرئية ، فمحبة الجميل لجماله وما يبعثه في النفس من إستغراقات جمالية ، تدفع بالمحب إلى التحليق في فضاءات روحية علوية ، فتشرق أمامه كلمات ضوئية تقول - إن الله جميل يحب الجمال - وتلك ثورة الإدراك والوعي الحقيقي اليقيني لمعنى الجمال الذي قد يتخذ توصيفات إلهية مطلقة".

والصمت في أوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل

"الصمت من السلوكيات التي يرتقي إليها الإنسان بالمجاهدة والجد والإجتهاد ، فليس من السهل على

في الوصية يقدم لنا بيانًا صارمًا
ممكنًا من الإبتصار على النفس
والقبض على غنيتها ، وإدارتها
وتطويعها للعمل ، وفقًا لما تقتضيه
الحكمة والعفة والبصيرة الثاقبة
السامية الأفاق

إيثار الحق على الباطل في
الإعتقادات ، والصدق على
الخدب في الأقوال ، والخير
على الشر في الأفعال

يؤكد في الوصية على ثلاثية
الحق والصدق والخير ، ووجوب
رجائها على غيرها ومضاداتها ،
وعدم الإستهانة بها لأن فيها ما
يساهم بتأهيل الإنسان لمجاهدة
نفسه

يقرن الإعتقاد بالقول والفعل ،
ولكي يكون الإنسان نقيًا ومعبرًا
عن إعتقاده ، لابد له من
الالتزام الصارم بهذه الثلاثية
التربوية الأخلاقية السلوكية
النبيلة الساطعة

يرى أن التمسك بالشرعية من
متطلبات المجاهدة النفسية
المقتدرة ، وهذا نابع من فهم
القرآن وتوجهات العديد من
الآيات التي تستهدف النفس
الأمارة بالسوء

يدعونا إلى التهذيب الروحي
لأنه من أعمدة القوة والقدرة
على المسك بلجام النفس
وتطويعها ، ويرى أن الصلاة
تمنحنا الوسائل الروحية القادرة
على نصرنا وتحقيق إرادتنا
النقية الصافية

المحبة الحقيقية النقية تكون
لذات المحبوب وحسب وليس

لغاية أخرى غير مرئية , فمحبّة
الجميل لجمالها وما يبعثه في
النفوس من إستغرافات جمالية ,
تدفع بالمحب إلى التخليق في
فضاءات روحية علوية

الصمت من السلوكيات التي
يرتقي إليها الإنسان بالمجاهدة
والجد والاجتهاد , فليس من
السهل على الإنسان أن لا يتكلم
ويركن إلى عقله

لحي تتعلم الصمت عليك أن
تتتمرّن عليه وتمنح العقل
مفردات وعناصر التدبر
والتفكير , والإستغراق في
المعرفة والإدراك البصير الذي
يمنح صاحبه لذة الإشراف
واليقين "

"يريدنا أن لا نقنط ونبأس , بل
أن نتفائل ونؤمن بأن بعد
العسر يسرا , وأن نتدبر بالصبر
والمجاهدة والقدرة على التحمل ,
والعمل على أن الحال سيتغير
ويأتينا بأفضل منه

يحثنا على إستعمال العقل في ما
نقوم به ونراه , وأن نتعلم كيف
نتوصل إلى ما هو صائب ونتخذه
سبيلا ونعمل بموجبه

العمر يجري إلى مصبّاته الحتمية
, وعلينا أن نغتني الوقت ونحقق
ما نستطيعه فيه , وأن لا نبذره
فيما هو دوني وباهت
ومستهلك

ترك الخوف من الموت والفقر
لعمل ما ينبغي وترك التواني ,
وترك الإكتراف لأقوال أهل الشر
والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم ,
وترك الإنفعال لهم

الإنسان أن لا يتكلم ويركن إلى عقله , ولكي تتعلم الصمت عليك أن تتمرّن عليه وتمنح العقل مفردات
وعناصر التدبر والتفكير , والإستغراق في المعرفة والإدراك البصير الذي يمنح صاحبه لذة الإشراف
واليقين "

وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى يصير ملكه ولا يفسد بالإسترسال

"يريدنا أن لا نقنط ونبأس , بل أن نتفائل ونؤمن بأن بعد العسر يسرا , وأن نتدبر بالصبر والمجاهدة
والقدرة على التحمل , والعمل على أن الحال سيتغير ويأتينا بأفضل منه , ولهذا لا بد لنا أن نعدّ العدة لما
هو أحسن في جميع الأحوال "

والإقدام على كل ما كان صوابا

"يحثنا على إستعمال العقل في ما نقوم به ونراه , وأن نتعلم كيف نتوصل إلى ما هو صائب ونتخذه
سبيلا ونعمل بموجبه.

وعندما نراه صائبا علينا أن نمثلك العزيمة والإقدام على إنجازه , لأنه سيمنحنا قدرة على التطور
والنماء والإتيان بما هو أكثر نبلا وروعة وبهاء , فتزدهي الحياة وترتقي إلى آفاق الرجاء الإنساني
المطلق "

والإشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره

"يعلمنا إقتصاد الوقت , وضرورة الإستثمار فيه , لأن العمر يجري إلى مصبّاته الحتمية , وعلينا أن
نغتني الوقت ونحقق ما نستطيعه فيه , وأن لا نبذره فيما هو دوني وباهت ومستهلك , لأن الحياة قصيرة
وعلينا أن نكون أهلا لها وطاقة فيها , بدلا أن نتحول إلى عالة عليها "

وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك التواني , وترك الإكتراف لأقوال أهل الشر
والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم , وترك الإنفعال لهم , وحسن إحتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان بجهة
وجهة

"ووفقا لما في كتبه ورسائله , فأن مسألة الخوف من الموت لها تداعياتها السلوكية على البشر ,
وكذلك الرعب من الفقر , ويدعو إلى تركها والعمل بما ينبغي علينا القيام به في الحياة.

كما أنه يحذرنا من الإكتراف لأقوال الأشرار لأنها سلبية وتدميرية , ولا تمنحنا خيرا وقدرة على التمتع
بحياة أفضل.

ويعود إلى الصبر والإقترب الإيجابي من الشدائد والتحديات , والعمل على تحويلها إلى قوة ذات قيمة
واضحة ومؤثرة في أيامنا "

وذكر المرض وقت الصحة , والههم وقت السرور , والرضى عند الغضب , ليقبل الطغي والبغي , وقوة

ذكر المرض وقتها الصحة ,
والهم وقتها السرور , والرعي
عند الغضب , ليقتل الطغي
والبغي , وقوة الأمل

يختم وصيته بالتوكل على الله
وعدم القنوط من رحمته فهو
الذي يبعث فينا الرجاء والأمل ,
ويعيننا على التصدي للملمات
والإنتصار على القاسيات

أن هذه الوصية ذات قيمة
سلوكية فاضلة وتهذيب نفسي
جميل , يجعل من يتخذها منارا
ومرشدا أقرب إلى النقاء
والصفاء والشعور بالسعادة
الأرضية وما بعدها

"ويمضي في وضع أسس ومراسيم وتعاليم التفكير الإيجابي , الذي علينا أن نتحلى به في أشد الظروف وأقساها , فهو طوق نجاة وسفينة رجاء التي ستوصلنا إلى مرافئ السعادة والبهجة والسرور".

وحسن الرجاء والثقة بالله عز وجل , وصرف جميع البال إليه

"ويختم وصيته بالتوكل على الله وعدم القنوط من رحمته فهو الذي يبعث فينا الرجاء والأمل , ويعيننا على التصدي للملمات والإنتصار على القاسيات , فالثقة بالله تزيدنا عزيمة وإصرارا على الخير , وترفعنا درجات في فضاءات المسرات , فما خاب من إعتد على الله القادر القدير".

والخلاصة أن هذه الوصية ذات قيمة سلوكية فاضلة وتهذيب نفسي جميل , يجعل من يتخذها منارا ومرشدا أقرب إلى النقاء والصفاء والشعور بالسعادة الأرضية وما بعدها , لأنها تُفَعِّلُ في الإنسان طاقات الروح والحكمة وتشد العقل بالقدرات الكفيلة بإعماله وإشراقه المنير .

وتلك ذخيرة سلوكية من نفائس كنوز أمة سادت بخُلُقها الرحيم الكريم!!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa262-080720.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقيًا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2020 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الصدار الثامن)

الشبكة تدخل عامها 20 من التأسيس و 18 على الويب

20 عاما من الكد... 18 عاما من الإنجازات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

(رابط الكتاب)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد